Journal of Humanities and Social Sciences Studies
مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2663-7197
DOI: 10.32996/jhsss
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/jhsss

نشاط علم التفسير وتأثره بالحالة التأريخية في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري

د. سليم الله بدخشي الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية بكلية العلوم الإسلامية جامعة التعليم و التربية بكابول.
محبوب الله حامد الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية بكلية العلوم الإسلامية جامعة التعليم و التربية بكابول.
البريد الإلكتروني: dr.salimbadakhshi@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2025/06/20	تاريخ نشر البحث: 2025/07/09	المجلد: 7	العدد: 7

الملخص

ضمن موضوع : "نشاط علم التفسير وتأثره بالحالة التاريخية في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري" تناولت الموضوعات والعناوين التي تخدم العنوان الرئيسي، ومن تلك العناوين : الحالة التاريخية للعالم الإسلامي في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، ولها يتضمن ثلاث جوانب: الحالة السياسية: وذكرت فيها تقلباتها وأبرز الحكام، والبلدان، والحروب في العالم الإسلامي. والحالة الاجتماعية: وذكرت خلالها حياة المجتمع الإسلامي والأفكار البارزة والثقافات المعمولة عند الناس، والحالة العلمية: وتطرقت فيها إلى بيان الجهود العلمية, ومظاهرها و مراكزها. ثم تحدثت عن تأثير هذه الحالات على النشاط في حركة علم التفسير في تلك المدة الزمنية، وأخيرا أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: نشاط، علم التفسير، الحالة التأريخية، القرن الحادي عشر، النصف الأول.

The Activity of the Science of Tafsir (Quranic Exegesis) and its influence on the historical situation in the First Half of the Eleventh Century AH

Dr. Salimullah "Badakhshi"[1] and Mahboobullah "Hamed"[2]

[12]Assistant Professor, Department of Islamic Culture, College of Islamic Sciences, University of Education and Training in Kabul, Afghanistan

Abstract:

Within the topic of "The Activity of the Science of Tafsir (Quranic Exegesis) and its influence on the historical situation in the First Half of the Eleventh Century AH," I addressed subjects and titles that serve the main title. Among these titles are: The Historical Situation of the Islamic World in the First Half of the Eleventh Century AH, which includes three aspects: The Political Situation, where I mentioned its fluctuations, the most prominent rulers and countries, and the wars in the Islamic world. The Social Situation, during which I discussed the life of the Islamic society, prominent ideas, and prevalent cultures among people. And the Scientific Situation, where I touched upon explaining scientific efforts, their manifestations, and their centers. Then, I discussed the impact of these situations on the activity within the movement of the science of Tafsir during that time period, and finally, the most important findings.

Keywords: Activity, Science of Tafsir (Quranic Exegesis), Historical Situation (or Historical Context), Eleventh Century, First Half.

المقدمة :

الحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.
أما بعـــــــــــد:
فإن الله سبحانه قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ، وأنزل عليه أعظم كتاب، وجعله معجزةً خالدة، وأمره سبحانه بأن يبين للناس هذا الكتاب الذي نزل إليهم و لعلهم يتفكرون، فبينه صلى الله عليه وسلم لأصحابه أتم بيان، وبينه الصحابة للتابعين، وهكذا توارثت الأمة حفظ القرآن وفهمه خلفاً عن سلف إلى يومنا هذا، تدريساً وتدويناً.
وقد تميز كل فترة من الزمن بمميزات في حركة التفسير، وأثرت فيه مؤثرات اجتماعية وسياسية وأخرى علمية، وكان لها الأثر البالغ على التفسير والمفسر ذاته في كل عصر من العصور.
ولا يعرف القارئ في كتب التفسير عن محتواها حتى يحيط بتلك الملابسات المؤثرة في تلك الكتب ومؤلفيها، و دراسة الأحوال التاريخية بجوانبها الثلاثة - السياسية والعلمية والاجتماعية - لكل عصر من عصور الأمة الإسلامية، وربطها بأسبابها لها أهمية كبيرة، يتبين من خلالها مدى حركة العلمية ونشاطها في العالم الإسلامي.
وليس غريباً أن تتشارك العلوم مع بعضها، وتؤثر بعضها على نشاط الآخر سلبا وإيجابا، كالتفسير مع التاريخ مثلاً، وكم في القرآن من الدعوة إلى التدبر والتفكر وأخذ العبر، فهذا الأمر لا يخل بالبحث بل يزيده رونقاً وجمالاً لكونه جمع أكثر من فن وربط بين أنواع من العلم.

اهمية البحث :

الإسهام في خدمة كتاب الله عز وجل، وبيان من اشتغلوا بعلم التفسير وبيان معانيه.

إبراز العوامل والأسباب والمعوقات التي أدت إلى التأثير في النشاط لحركة علم التفسير.
هذا البحث لدراسة الحالة التاريخية وتاثيرها على نشاط حركة التفسير؛ يكشف عن أحوال هذا العلم، ومؤلفيه، في فترة وحقبة زمنية خاصة من التاريخ في العالم الإسلامي.
بيان اهتمام أهل العلم بتفسير كتاب الله عزوجل والعناية به في كل زمان ومكان حسب الاستطاعة.
بيان مسايرة الحركة العليمة للأحوال التأريخية، وتأثير بعضها على بعض سلبا وإيجابا.

أسئلة البحث :
السؤال الرئيسي : كيف كان نشاط علم التفسير في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري؟
ويتفرع عنه عدة أسئلة :
هل الوضع السياسي السائد على بلاد الإسلام كان له أثر سلبي على حركة التفسير ونشاطه ؟
هل تأثر التفسير بالحالة الاجتماعية التي كان تعيشها الأمة الإسلامية في تلك البرهة الزمنية؟
ما هي نتاج التفسير خلال هذا النصف من القرن؟

الدراسات السابقة :
لم أجد من الكتب والرسائل العلمية والمقالات التي تدرس هذا الموضوع دراسة مستقلة ، لكن هناك كتب تهتم بدراسة المفسرين و مؤلفاتهم حسب القرون، ومن أبرزها :
- طبقات المفسرين للسيوطي(ت:911ه)[1]، طُبع دون تحقيق.

- طبقات المفسرين للإمام الداوودي (ت: 945ه) ، طُبع بتحقيق د. عبدالعزيز الدردير موسى عويضه، رسالة دكتوراه.

- طبقات المفسرين للشيخ أبي سعيد صنع الله الكوزة الكناني(ت: 980ه) .

- طبقات المفسرين للأدَرْنِي(ت: ق11)، طُبع بتحقيق د. سليمان الخزي.

- نيل السائرين في طبقات المفسرين ،للشيخ محمد طاهر الباكستاني ، طبع دون تحقيق.

-وهناك مشروع علمي ضخم -يضم أكثر من عشرين باحثا من طلاب الدراسات العليا بقسم التفسير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعنوانه : "طبقات المفسرين من القرن الثاني إلى القرن الرابع عشر الهجري" - وفي هذا المشروع تمت دراسة المفسرين وكتب التفسير حسب القرون، وبُينت مناهجها و مميزات كل قرن، وتأثرها بالأحوال التأريخية والإجتماعية .

منهج البحث :
1- اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي : وهو المنهج الذي يقوم فيه الباحث ببذل الجهد عند دراسة النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، بهدف التعرف على المفسرين ومولفاتهم في التفسير، و الاتجاهات التي سلكوها حسب الظروف الحاكمة على البيئة.

(1) قال مناع القطان : "وللحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هجرية كتاب طبقات المفسرين ذكر في مقدمته أنه سيتناول المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، والمفسرين من المحَدِّثين ، وأهل السُّنَّة ، والمفسرين من أهل الفرق كالمعتزلة والشيعة ونحوهم ، ولكنه لم يتم ، وبلغ عدد التراجم فيه 136 ترجمة وهو مرتب على الحروف الهجائية". مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص: (357).

2- جمع المادة العلمية من مظانها ومصادرها الأولية.
4- جمع الأحداث التأريخية المؤثرة على سير الحركة العلمية بشكل عام، ونشاط التفسير بشكل خاص.
5-توثيق النصوص والنقول ببيان أسماء المؤلفين ورقم الجلد والصفحة.
6- الالتزام بعلامات الترقيم وقواعد الإملاء الحديثة، وضبط ما يحتاج إلى الضبط بالتشكيل الدقيق.

الحالة التاريخية للنصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، وفيه ثلاث مباحث:
المبحث الأول: الحالة السياسية :

في هذه المدة الزمنيه (النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري) مر العالم الإسلامي بمرحلة عُرفت بمرحلة الضعف والتدهور ، والتي تمتد من عام (974ه) حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

و كان معظم البلدان الإسلامية تحت حكم الدولة العثمانية ، فقد ضمت إلى كيانها كلا من بلاد : مصر والشام والعراق والحجاز واليمن ، وبعض دول شمال أفريقيا: كتونس وليبيا والجزائر، وأجزاء من الجزيرة العربية ، واتخذت من استانبول عاصمة لها ، وتواصلت فتوحاتها لتضم شرق أوربا حتى وصلت إلى حدود فيينا ، وأما بالنسبة لإيران والمغرب وبلاد الهند ، فلم تكن خاضعة للدولة العثمانية ، وتُعتبر كل منها دولة مستقلة تنافس الدولة العثمانية [(2)].

- أبرز الحوادث و الأمور السياسية التي حدثت في الدولة العثمانية خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري :

تمرد الانكشارية[(3)]على الدولة العثمانية عام (1001ه)، وقاموا بالثورة ضد الحكومة ، فقتلوا بعض الوزراء بحجة تزوير العملة، و ثاروا في مدينة استانبول عاصمة الدولة العثمانية ،والقاهرة و تبريز ، وغيرها من بلدان المسلمين، فكلفهم السلطان مراد الثالث بمجاربة المجريين بإشارة من وزيره الذكي سنان باشا [(4)] ، غير أنهم هُزموا أمام النمسا [(5)]، وهذا التمرد من قبل الانكشارية، وتدخلهم في شؤون الدولة مما تسبب في تقليل هيبة الدولة و اختلال أمورها الداخلية.

وفي عهد السلطان مراد الثالث أعلن أمراء الأفلاق والبغدان [(6)] وترانسلفانيا [(7)] التمرد على الدولة، وانضموا إلى النمسا في حربها ضد العثمانيين، وسيطروا على عدة قلاع عثمانية، ثم سار إليهم سنان باشا عام (1003هـ/1594م) و استردها منهم[(8)].

- وفي عهد السلطان محمد خان الثالث حصل تهاون في شوون الدولة، و ترك السلطان تسيير شؤون الدولة لوزرائه، فقام عدد من الوزراء ببيع المناصب العسكرية والمدنية، وحدث فساد كبير في ربوع البلاد المسلمة، وزاد موقف حكومة الخلافة تأزمًا الهزائم التي أخذ الجيش يتجرعها في أقاليم البغدان وترانسلفانيا على يد ميخائيل الفلاحي بمساعدة جيش النمسا، ثم أشار له الشيخ المفتي سعد الدين أفندي بتدارك الأمور، وشجعه على الخروج بنفسه لقيادة الجيش [(9)]، فخرج بنفسه قائدا، فسار إلى بلغراد [(10)]، ومنها إلى ميدان الحرب والنزال، وبذلك دبت في جيوش الدولة الحمية الدينية، والغيرة العسكرية ، ففتح قلعة "أرلو" الحصينة ببلاد النمسا، التي عجز السلطان سليمان عن فتحها سنة (1556م) ، ودمر جيوش المجر والنمسا تدميرا في منطقة سهل كرزت بالقرب من هذه القلعة في (26 أكتوبر سنة (1596م)[(11)] .

وكان هذا نصرا مؤزرا ، قُتل فيه من العدو قرابة مائة ألف مقاتل ، فأعاد السلطان محمد الثالث النصر للدولة العثمانية، وما كان لها من الاقتدار والصولة في عهد السلطان سليمان القانوني[(12)].

-وفي عهد السطان محمد الثالث حصلت ثورة داخلية في بلاد الأناضول أثناء القتال واشتغال السلطان على حدود النمسا والمجر ، قام بها المتباقون من الجنود المرتزقة، بعد أن فروا من ساحة الحرب في أروبا ، فعوقبوا و حقروا ، فتمرد أحد رؤسائهم واسمه قره يازيجي قائد فرقة السكبان الانكشارية ، فتغلب على والي منطقة القرمان، فحاصرته الجيوش ، وانتصر عليه الوزير صقللي حسن باشا، وأيضا قام الفرسان من الجند بثورة تمرد داخل استانبول، وكاد أن يُقضى على السلطان محمد، لكن الانكشارية سرعان ما أخمدته وتغلبت عليه[(13)]**.**

---

(2) انظر: نهر التاريخ الإسلامي لـــــد.إبراهيم العدوي (473-477) .
(3) الانكشارية : قوة عسكرية من الجند ، أنشأها العثمانيون على شكل خاص ، وأكثرهم من أصل مسيحي ، من غلمان البلاد المفتوحة ، الذين فقدوا آباءهم ، فربوهم تربية إسلامية وعسكرية ، ليكونوا لهم جنداً، و أخيرا قاموا بالتدخل في أمور الدولة و إرباكها ، واستمر أمرهم إلى عهد السلطان محمود الثاني عام (1241 هـ) فتخلص منهم وانتهى أمرهم. انظر: "مصر العثمانية" للمؤلف:جورجي زيدان (ص: 65ـ 66) ،و"عوامل انهيار الدولة العثمانية" (ص:78-79) .
(4) انظر: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية (ص: 130).
(5) وتعني : (جمهورية البلاد الشرقية)، وأصل التسمية "بالنمسا" يأتي من كلمة "نْيَامْيَاتْسْكِيْ"، تقع النمسا في قلب أوروبا تحدها من الشمال جمهورية ألمانيا الفدرالية وتشيكيا، سلوفاكيا والمجر من الشرق، سلوفينيا وإيطاليا من الجنوب، سويسرا وليختنشتاين من الغرب.
(6) هي المنطقة الشرقية من رومانيا المتاخمة لحدود الاتحاد السوفيتي (حاليا الجمهورية الروسية) وتشكل مع الأفلاق دولة رومانيا. "التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية" (ص:124).
(7) اقليم ترانسيلفانيا: يقع في قلب رومانيا ، يعتبر واحدا من أقاليم رومانيا التسعة ، والقلب التاريخي لرومانيا ، يضم عدة محافظات رومانية ، يحتوي هذا الإقليم جزءاً كبيراً من منطقة جبال الكارابات. انظر موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
(8) انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي (ص:101).
(9) انظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط - علي محمد الصلابي(319).
(10)حاليا هي عاصمة صربيا، وأكبر مدنها على الإطلاق.
(11) تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك(ص:267-268).
(12) انظر: تاريخ الدولة العثمانية - علي حسون (ص: 130).
(13) انظر: المصدر السابق (ص: 131).

-وفي عهد الخليفة أحمد بن محمد الثالث بُدئَ بإرسال ستار الكعبة الشريفة من استانبول ، وكان قبل ذلك يُرْسل من مصر[14]، وأيضا : بُنى الجامع الأزرق الضخم مقابل جامع أياصوفيا، وأُجريت إصلاحات جديدة[15]، لكن أحوال الدولة العثمانية كانت مرتبكة جدا لانشغالها بحروب النمسا في أوربا ، والفرس في إيران ، والثورات الداخلية ، منها:

-في عام (1022هـ) اضطربت الأحوال في الولايات الشرقية من الدولة العثمانية عموما ، وَسَعَى كل أمة من الأمم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال ، وكان أهم رؤساء هذه الحركة : رجل كردي مُلّقب بـ"جان بولاد" ، ومعناه بالعربية: (مَنْ نفسه كالفولاذ)[16]، لشدة بأسه ، وقوة إقدامه ، و قلندر أوغلي والي مدينة أنقرة ، و الأمير فخر الدين الدروزي والي الشام، وغيرهم، لكن قيض الله للدولة في هذا الوضع الخطير وزيرا محنكا ، صاحب الخبرات والتجارب ، ليكون عونا وعضدا للسلطان، وهو الوزير مراد باشا الملقب بـ"قويوجي" وكان قد تجاوز الثمانين فتقلد -مع كبر سنه ووهن قواه- قيادة الجيوش ، وحارب الثائرين بهمة ونشاط ، فانتصر على المتمردين[17].

- تعدي الدولة الصفوية [18] على الخلافة العثمانية : و في ظل الاضطرابات السائدة على نواحي الدولة العثمانية، انتهز حاكم بلاد فارس الشاه عباس الصفوي الشيعي فرصة القلاقل الداخلية، وقام بتخليص العراق العجمي[19] ، واستطاع أن يحتل تبريز و وان و بغداد والأماكن المقدسة الشيعية في النجف وكربلا والكوفة ، ثم قام بزيارتها وسط مظاهر الإجلال والتقديس ، قضى فيها عشرة أيام.

وقد أَنزل الشاه عباس الصفوي بعد ذلك أقسى أنواع العقاب بأهل السنة ، فإما قُتلوا أو سُملت عيونهم ، ولم يكن يتسامح مع أي منهم إلا إذا تخلى عن مذهبه السني ، وأعلن ولائه للمذهب الشيعي.

و بالغ الشاه عباس الصفوي في عدائه، واتصل بملوك النصارى، وإمعانا في ضرب الدولة العثمانية حامية المذهب السني ، عقد اتفاقيات تعاون مشترك معهم من أجل تقويض أركان الدولة العثمانية، ولم يكن يعبأ حتى قدم العديد من التنازلات للدول الأوروبية تأكيدا لتعاونه معهم، انطلاقا من عدائه ، وهذه المعاملة للنصارى كانت نكاية في الدولة العثمانية السنية.

وعامل الشاه عباس الصفوي النصارى في إيران معاملة حسنة ، فنشطت الحركة التنصيرية في إيران، كما شجع التجار الأوروبيين في عقد صفقات تجارية كبيرة مع التجار الإيرانيين، وأصبحت إيران سوقا رائجا للتجارة الأوروبية ، وكان قد أعلن مسبقا عام 1007هـ/1598م بعدم التعرض لهم والسماح لهم بحرية التجول في ربوع الدولة الصفوية ، وجاء في المرسوم : "من اليوم يسمح لمواطني الدولة النصرانية ومن يدينون بدينهم بالحضور إلى أي بقعة من وطننا ، و لا يُسمح لأي شخص بأي حال من الأحوال إهانتهم ، ونظرا لما بيننا وبين الملوك النصرانيين من علاقات ود ومحبة ، فيسمح للتجار النصرانيين بالتجول في جميع أنحاء إيران ، ومزاولة نشاطهم التجاري في أي بقعة من الوطن ، دون أن يُتعرض لهم بالإيذاء من أي شخص ، سواء كان حاكما أو أميرا أو خانا أو موظفا أو تابعا للدولة كما يُعفى جميعُ أموال تجارتهم التي يحضرونها معهم من ضرائب المال ، وليس لأي شخص مهما بلغت مكانته أن يزاحمهم أو يكلفهم المشاق ، وليس من حق رجال الدين مهما كانت طوائفهم التجرؤ على الإضرار بهم أو التحدث معهم بخصوص العقائد المذهبية" [20].

-الحرب مع النمسا و الدول الأروبية: ففي أثناء انشغال الدولة العثمانية بحروبها الداخلية، استبد النمساويون ببلاد المجر، وأساءوا معاملة أشرافها نظير إخلاصهم للدولة العثمانية ،حتى رفضوا النمسا المسيحية ، وطلبوا من الدولة العثمانية أن ترمقهم بعين حمايتها ،وتُخلصهم من استرقاق النمسا لهم ، وانتخبوا الأمير بوسكاي ملكا عليهم عام (1014هـ) ، فانشرحت الدولة لهذه النتيجة التي ما كانت تنتظرها من أمة مسيحية لا سيما وهي في حالة كربة لكثرة الحروب الداخلية ، وتقهقر جيوشها أمام الشاه عباس الصفوي في بلاد فارس ، فقبلت هذا الاسترحام ، واعتمدت انتخاب بوسكاي ، وأمدته بجيوشها ، ففتحت في زمن يسير حصون جران و يسجراد و سيريم ، وغيرها.

وفي سنة (1015هـ) خشيت النمسا من امتداد الفتوحات العثمانية ، فسعت في سلخ "بوسكاي" عن الدولة العثمانية ، فاعترفت بانتخابه ملكا للمجر ، وأميرا لإقليم ترنسلفانيا ، وتنازلت عن كافة الأقاليم المجرية بشروط ، ولزيادة اضطراب أحوال الدولة بآسيا ، و تعسر استمرار الحرب مع النمسا بدون مساعدة جيوش المجر ، أبرمت الدولة العثمانية الصلح مع أمبراطور النمسا في أواخر سنة (1015هـ)، و بهذا وقد انقطعت الحروب على كافة حدود الدولة العثمانية تقريبا ، إلا أنه قد حصلت ما بين سنة (1611م- 1614م- الموافق:1020-1023هـ) بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدولة العثمانية وسفن رهبان مالطه وملك أسبانيا و ولايات إيطاليا ،كان الفوز فيها غالبا لمراكب الأعداء ، ولذلك أمر الوزير الصدر نصوح باشا بجمع جميع سفن الدولة في مياه البحر الأبيض المتوسط لصد تعديات مراكب الإفرنج ، وحفظ طريق البحر بين الآستانة و ولايات الغرب ، فانتهز بعض

(14) انظر: السلاطين العثمانيون(ص:59).
(15) تاريخ الدولة العثمانية (ص:133).
(16) والفولاذ: الحديد الذكر النقي من الخبث، وهو معرب.الصحاح للجوهري(20/1).
(17) انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص:271-272) ، و تاريخ الدولة العثمانية لعلي حسون (ص: 132) ، و الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط(324).
(18) تنتسب الأسرة الصفوية إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي التركي (650هـ - 735هـ)، كان واعظاً صوفياً شافعي المذهب ، أسس فرقة صوفية تُسمى (الإخوان) ، وقد كثرت هذه الفرقة في إقليم (أذربيجان) ، و بعد وفاته أخذ مشيخة طريقته (والتي سميت الطريقة الصفوية) ابنه صدر الدين موسى (704هـ - 794هـ) ، ولما توفي صدر الدين ، تولى ابنه "خواجة علي" المشيخة لمدة (36) سنة ،وكان له ميل للتشيّع خفيفاً ،ثم تولى من بعده ابنه إبراهيم ، وكان تشيعه واضحاً للإمامية ، وأدخل أتباعه بصراعات مع أهل السُنة في داغستان ، وخلفه ابنه الأصغر جنيد ، و كان شيعياً جلداً متعصباً محارباً لأهل السُنة ،وخلفه ابنه حيدر ، وهو أول من لُقب بـ"سلطان" في العائلة الصفوية ، وكان له ثلاثة أولاد: علي و إبراهيم و إسماعيل ، فقتل بعده علي و إبراهيم ، و هرب إسماعيل إلى مدينة "كيلان" على بحر قزوين ، فكان تحت رعاية الصوفية ، ولكنه تربى منذ صغره على التشيع الشديد ، وهو الذي سيطر على الحكم وأقام الدولة الصفوية في إيران(907هـ-1501م) على المذهب الشيعة الاثني عشرية ، عاصمتها تبريز. انظر: عودة الصفويين لعبد العزيز الشافعي(7-10).
(19) تاريخ الدولة العثمانية (ص: 132).
(20) انظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط(324/322) وتاريخ الدولة العثمانية (ص:132).

أخلاط القوزاق [21] انسحاب السفن الحربية من البحر الأسود ، و أغاروا على ثغر سينوب ونهبوا ما به ، ولما علم السلطان بذلك غضب على الصدر الاعظم وسعى به بعض مبغضيه حتى أمر بقتله في 14 اكتوبر سنة (1614م) فخنق في قصره.

هذا وازدادت في أيام السلطان أحمد الأول العلاقات السياسية مع دول الإفرنج ، فجددت مع فرانسا العقود والعهود القديمة سنة (1604م-1013ه) مع بعض زيادات طفيفة ، وفي سنة (1609م-1018ه) جددت مع مملكة بولونيا الاتفاقات التي أبرمت معها في زمن السلطان محمد الثالث ، وأهم ما بها تعهد بولونيا بمنع قوزاق الروسية من الإغارة على إقليم البغدان ، وتعهد الدولة العلية بمنع تتار القرم من التعدي على حدودها ، وغير ذلك من الاتفاقيات[22].

-ولما تولى السلطان مصطفى بن محمد - ويعرف ب مصطفى الأول- مقاليد الحكم ، كان جاهلا بأمور السياسة، فاستمر حكمه ثلاثة أشهر، ثم عُزل من منصبه ، و وُلي ابن أخيه السلطان عثمان الثاني ابن أحمد ، لكنه سرعان ما قُتل على أيادي الانكشارية عام (1031ه) ، فأُعيد السلطان مصطفى إلى الحكم مرة ثانية ، وصارت الحكومة ألعوبة بأيدي الانكشارية، ينصبون الوزراء ويعزلونهم بحسب أهوائهم ، وأصبحت المناصب تُباع جهارا ، وارتكبوا أنواع المظالم [23].

وفي عهده كادت تقوم الحرب بين الدولة العثمانية وفرنسا، وخلال عام واحد وأربعة شهور من حكمه تغير ريس الوزراء للدولة سبع مرات، ودب الخلاف بين أمراء الأناضول ، فنظرا لضعفه عن إدارة شؤون البلاد، تم عزله مرة أخرى عام (1032ه)[24].

-ثم تولى الحكم السلطان عثمان الثاني ابن السلطان أحمد ومن أبرز ما حدث في عهده :

أولا: سلب صلاحيات مفتي الدولة : أمر بتقليل اختصاصات مفتي الدولة ، ونزع ما كان له من السلطة في تعيين وعزل الموظفين ، وجعل وظيفته قاصرة على الإفتاء، حتى يأمن شر دسائسه التي ربما تكون سببا في عزله كما كانت سبب عزل غيره من السلاطين [25].

ثانيا: إعلان الجهاد على مملكة بولونيا [26]: تدخلت مملكة بولونيا في شؤون الدولة العثمانية وحلفائها بمساعدة مخالفيها ضدها ، فاتخذ السلطان عثمان هذا التدخل سببا في إشهار الحرب على مملكة بولونيا ، وتحقيق أمنيته ، و هي: فتح هذه المملكة ، وجعلها فاصلا بين أملاك الدولة ومملكة الروسيا ، فسير الجيوش والكتائب لمحاربة مملكة بولونيا ، فالتقى بجيشهم تحت قيادة أمير "ولنا" كان متحصنا في محل منيع بالقرب من بلدة يقال لها "شوك زم"، وأخيرا تم الصلح بين الطرفين سنة (1620م) الموافق: (1029ه) [27].

ثالثا: العزم على التخلص من الانكشارية و نتيجة هذا الأمر: عزم السلطان على إفناء الانكشارية والتخلص منها ، فأمر بتنظيم جيوش جديدة في دول آسيا و تدريبها ، ولما أراد تنفيذ هذا المشروع علمت الانكشارية وأسرعت إلى عزل هذا السلطان ، وتنصيب عمه مصطفى الأول مكانه على الحكم[28]، وكان ذلك في التاسع من شهر رجب عام(1031ه)[29].

- ثم تولى الخلافة السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد وكان رجلا شجاعا، عاقلا ،شاعرا ،ثاقب الرأي ، لقبه المؤرخون بـ"اسكندر الثاني" ، استأصل الفساد وقمع العصاة، مُنع في عهده الخمر والتدخين ، وأُعدم كل مرتد عن دين الإسلام ،لُقب بمؤسس الدولة الثاني ، لأنه أحياها بعد السقوط ، وأصلح ماليتها ، بحيث استلمها فارغة ، وتركها مليئة بالمال"[30]، و من أبرز الوقايع السياسية التي حصلت في عهده:

أولا: الاصلاحات الداخلية: لما تولى مقاليد الحكم كانت أحوال الدولة العثمانية سيئة للغاية ، وكان الثورات قائمة في كل أرجاء البلاد ، فاستطاع أن يقوم بإصلاح الأحوال الداخلية أولا حتى تسنى له التفرغ للأحوال الخارجية ،ولذلك بدأ بالقضاء على الطغاة من جيش الدولة[31]، وأعدم جميع المتآسدين والثائرين في استانبول وفي جميع أنحاء الدولة، وأسس تشيكلات قوية للمخابرات ، وأثبت من خلالها أسماء جميع المستبدين في الدولة، وكان إذا صادف بلدا في أسفاره كان يدعوا مستبديها بأسمائهم ويعدمهم[32].

ثانيا: مواجهة الدولة الصفوية: وانتهز الشاه عباس الصفوي ملك بلاد فارس اختلال الأوضاع في الدولة العثمانية فرصة لتوسيع نطاق سلطته من جهة حدود الدولة العثمانية، فقام بمحاصرة بغداد ثلاثة أشهر وأخيرا سقط بغداد في أيدي الصفويين ،فخرج السلطان مراد يقود الجيوش بنفسه متجها إلى بغداد، فحاصر السلطان مدينة بغداد ، وهدم جزءا كبيرا من أسوارها بالمدفعية ، ودخلها منتصرا عام (1048ه) ، و قتل من جنود

([21])القوزاق: و هم مجموعة أثنية للسلافيين الشرقيين الذين يقطنون بجملتهم السهوب الجنوبية في شرق أوروبا وروسيا وكازاخستان وسيبيريا , و موطنهم: هو خط من القلاع والحصون كان يمر من نهر الفولغا الوسطى باتجاه مدينتي ريازان وتولا ثم ينعطف نحو الجنوب ويصل إلى نهر الدنيبر في منطقة مدينتي بوتيفل وبيرياسلاف. الموسوعة الحرة ويكيبيديا. تاريخ الاقتباس: 1435/10/16ه.

(22) انظر : سمط النجوم العوالي- عبد الملك العصامي (115/4) و تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص:272-275).

(23) انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية(277-279).

(24) انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث(107).

(25) انظر: الدولة العلية العثمانية (277/1).

): مدينة إيطالية عاصمة إقليم إميليا. انظر: موقع ويكيبيديا.Bologna(26)بولونيا (بالإيطالية):

(27) انظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط(328) والدولة العلية العثمانية (277-278).

(28) انظر: تاريخ الدولة العثمانية (134).

(29) سمط النجوم العوالي (118/4).

(30) تاريخ الدولة العثمانية (136).

(31) انظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث للدكتور إسماعيل أحمد (107).

(32) انظر: السلاطين العثمانيون(63).

الصفويين عشرين ألفا، ثم أقام بها مدة جدد عمارتها، وأصلح ماتهدم من أسوارها، وعين لها وزيرا ، ثم رجع إلى استانبول بعد هذا النصر العظيم [33].

هذه كانت أبرز الحوادث السياسية التي حدثت في الخلافة العثمانية، باعتبارها قائدا وزعيما تمثل الأمة الإسلامية، وأما بقية العالم الإسلامي:

- بلاد الأندلس: ففي مستهل القرن الحادي عشر الهجري بدأت مظاهر الضعف والتأخر تظهر في بلاد الإسلام ، بسبب تقلب الأوضاع السياسية ،ومن أبرز تلك المظاهر المؤسفة : ما حل بالمسلمين في بلاد الأندلس، مما أسفر عن إجلائهم منها نهائيا - بكل قسوة وعنوة – وذلك عام (1018هـ)[34].

فُتحت بلاد الأندلس سنة (92 هـ) في عهد الدولة الأموية ، أيام خلافة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك رحمه الله ، و لم يكن السبب الرئيسي لفتح العرب والمسلمين للأندلس هو أن حكامها ظالمين، أو أن هناك من استدعاهم ليعينوه على ملك أسبانيا أو غير ذلك ، وإنما كان دافعهم الأساسي هو تبليغ الرسالة المحمدية ونشرها .

وظل المسلمون في بلاد الأندلس دعاة إلى الحق ومجاهدين في سبيل الله ، إلى أن حل بهم من قضاء الله سبحانه وتعالى نتيجة للخلافات التي وقعت بين قادة المسلمين، و بالتالي تم إجلائهم على مراحل مختلفة من تلك البلاد بأبشع صورة على أيدي النصارى الأسبان،
ولم يتم طرد المسلمين من أسبانيا مرة واحدة أو فجأة وإنما كان على مراحل زمنية ، وكان طرفي الحرب المسلمون من ناحية، والنصارى من ناحية أخرى، وهؤلاء النصارى كانوا في البداية قلة ويشغلون بقاعا بعيدة باردة وجبلية وعرة ،ولكنهم ظلوا يتوسعون شيئا فشيئا على استولوا على مناطق المسلمين و تمكنوا من طردهم و إجلائهم، وكان الصراع سجالا بين الفريقين فتارة ينتصر المسلمون وتارة ينهزمون، إلى أن دبت الصراعات بين الحكام المسلمين ، وكانت فرصة كبيرة لأعدائهم كانوا يتحالفون مع بعض الحكام المسلمين للدعم في صراعاتهم ضد خصومهم من المسلمين وفي كل مرة كانوا يستولون على جزء من الأندلس ويستقرون به وظلت هذه العملية نحو ثمانية قرون.

وأخيرا : في أواخر القرن التاسع الهجري اتحدت مملكتي قشتالة وأراجون -حينما تزوجت ملكة قشتالة إيزابيل بملك أراجون فرناندو- وهنا صارت مملكة كبيرة وقوية، وبدأ الأسبان حرب الإبادة ضد المسلمين في الأندلس، و في بدايات القرن الحادي عشر الهجري الموافق لنهاية القرن السابع عشر الميلادي أجبرت محاكم التفتيش جميع المسلمين على التنصير أو النفي من البلاد أو الذبح، وقد تم تنفيذ هذا القرار في حق المسلمين جميعا بأبشع حال و أعنف صورة[35].

- وأما بلاد فارس : في هذه الفترة (النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري)كانت الدولة الصفوية مسيطرا على بلاد فارس ، يحكمها الشاه عباس الصفوي الذي تولى الحكم عام(996هـ حتى عام 1038هـ) ، وفي عهده نال أهل السنة في هذه البلاد أشد أنواع العذاب والدمار.

وفي عهده استولى الأوزبكيون [36] السُنة على خراسان، وعلى مدينتي مشهد وسبزوار، وذلك سنة (1002هـ)، ولكن مات ملك الأوزبك عبد الله خان، و قُتل أخوه عبد المؤمن فهاجمهم الشاه عباس على مدينة هرات ، وطردهم من المنطقة سنة (1006هـ).

و ساعد الشاه عباس بريطانيا في إضعاف النفوذ الهولندي على الخليج العربي، وإبداله بالنفوذ البريطاني، واشتركا معاً بجيوش لتنفيذ هذه المهمة واستمرت حروبهم حتى سنة (1034هـ).

عامل الشاه عباس الصفوي أكراد السُنة في إيران معاملة سيئة، وطلب منهم الدخول في المذهب الشيعي فرفضوا مما أدى إلى قتلهم وتشريدهم إلى بلاد خراسان، وقد قُتل في أيامه (70ألف كردي) ، ورُحّل (15000) عائلة كردية.

وكان يأمر بمُثلة العلماء من أهل السنة ، فيقطع آذانهم وأنوفهم ثم تُقدم هذه الأعضاء لعوام الناس من أهل السنة ويجبرون على أكلها.

والشاه عباس كان طائفياً مقيتا، وأشنع ما أراد فعله أنه حاول أن يُقنع الإيرانيين بالتخلّي عن الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج، والاكتفاء بزيارة قبر الإمام الثامن علي بن موسى الرضا في مدينة مشهد، لأن الواجب القومي يحتّم عدم السفر عبر الأراضي العثمانية ودفع رسوم العبور.

- ولما سيطر على مدينة بغداد في عهد السلطان العثماني أحمد الأول هتك حرماتها، ورمل نساءها، وقتل الأطفال، و أُتلفت الثروات ، وخُربت الجوامع ، وجُعلت أرضاً منبسطة ، وأما العشائر فنُكّل بها ، وأُجرى عليهم عدة مظالم، وأخذ يقتل ويعذب الآلاف، و رفض كثير من أهل بغداد تغيير عقيدتهم ، وفضلوا الموت على التشيع ولو بالظاهر، وأخذ أطفالهم والنساء فباعهم كعبيد إلى إيران ، وهدم جامع أبي حنيفة وجامع عبد القادر الجيلاني ، ثم عين والياً على بغداد وغادرها إلى بلاده ، وكان ذلك سنة (1033هـ).

(33) انظر: السلاطين العثمانيون(63).
(34) انظر : تاريخ الإسلام لأنور الجندي ، دار الأنصار(2/2).
(35) انظر : الأندلس من الفتح إلى السقوط لراغب الحنفي ، و حوار للدكتورة عبادة كحيلة أستاذة بجامعة القاهرة نشرتها مجلة الأندلس عبر الرابط/ https://majalatalandalus.wordpress.com.

(36) الأوزبك : ظهر هذا الاسم خلال القرن الخامس عشر الميلادي في بلاد ماوراء النهر ، وكان يطلق في البداية على الجماعات التركية التي هاجرت من بلاد القبجاق ومناطق استراخان واستوطنت بلاد ما وراء النهر وتركستان ، وبعتبر محمد شيباني خان هو زعيم الأوزبك ، ومنشئ الدولة الشيبانية التي أنهت على حكم التيموريين ، يستوطن الأوزبك اليوم الدولة الواقعة في آسيا الوسطى وتعرف باسمهم "أوزبكستان" ، وفي غيرها من الدول الآسيوية. انظر: موقع ويكيبيديا(الموسوعة الحرة) http://ar.wikipedia.org. ،عبر الرابط/

وفي سنة (1038هـ) مات الشاه عباس، و ولي الحكم بعده الشاه صفي الأول ، وفي عهده سنة (1048هـ) حرر العثمانيون مدينة بغداد وكل العراق[37].

المبحث الثاني : الحالة العلمية و الإجتماعية :

الناظر في كتب التراجم المتعلقة بالقرن الحادي عشر الهجري ، مثل : خلاصة الأثر للمحبي، أو فوائد الارتحال لابن فتح الله الحموي، يجد بأنها تعطي صورة جلية عن جهد العلماء والدارسين والمدرسين ، واجتهادهم وحبهم للعلم و السعي في تحصيله ونشره ودعوة الناس إليه، وكثرة المشايخ والطلاب في البلدان والأقاليم المختلفة ، كل ذلك يدل على اهتمام الناس بالعلم والمعرفة في ذلك الوقت.

و في هذه المدة (النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري) ظل العرب أصحاب القيادة الفكرية - رغم تخليهم عن الصدارة السياسية- وكانت اللغتان : الفارسية والتركية تُكتبان بالحروف العربية ، وظل القرآن والحديث يُتلى بأدائه وحروفه العربية ، وألف كثير من غير العرب مؤلفات بالعربية في مجال الفلك والرياضة واللغة وتفسير القرآن الكريم[38].

واستمر دور المساجد إلى جانب إقامة الصلاة في أداء رسالتها العلمية ، فأنشئت مساجد كثيرة تضم بجانبها مدرسة ومكتبة وسكنا للأساتذة والطلاب، و استمرت مراكز الدراسات العليا كالأزهر والزيتونة والقرويين والحرمين في ممارسة مهامها التعليمية ، و أغدقت عطاياها للعلم والعلماء ، فكانت تجذب الراغبين في العلم من كافة أنحاء العالم الإسلامي ، ويتصدر فيها العلماء لإلقاء دروسهم في موضوعات شتى تتصل بعلوم شرعية ولغوية وعلمية ، وأقبل بعضهم على التأليف والتصنيف في تلك العلوم [39].

وفي مجال التفسير : بلغ عدد المفسرين في العالم الإسلامي خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري -على اختلاف عقائدهم، ومذاهبهم، واتجاهاتهم، ولغاتهم، وبلدانهم و وفياتهم- مائة وثلاثة وتسعون مفسّراً.

شارك المفسرون في هذه المدة في العديد من المهام ، فكان منهم القضاة ، و قواد الجيوش ، وكبار المسؤولين في الدولة ، و المدرسين في الجوامع والمساجد والمدارس ، و أصحاب المهن .

وبلغ عدد المؤلفات في علم التفسير في هذه المدة -على اختلافها في الحجم، والمنهج، والاتجاه، وغيرها- ثلاثمائة وستة وخمسون مؤلّفاً، ومن هذا العدد : (102) تفسير في عداد المفقود، و (7) تفاسير كاملة للقرآن الكريم ، و عدد التفاسير المتعلقة بالآيات القرآنية الخاصة (86) ، وعدد التفاسير المتعلقة بالسور (62) ، وعدد الحواشي والتعليقات على تفسير البيضاوي(61)، وعلى تفسير الزمخشري(10) ، وعلى تفسير أبي السعود(13) ، وعلى تفسير الجلالين (6) وباقي التفاسير (111) في موضوعات مختلفة ومتفرقة (40).

وبالرغم من استمرار الحركة العلمية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، إلا أنها كانت ضعيفة مقارنة بالقرون السابقة ، كما أن الجهل والأمية كانت شائعة وملحوظة في المجتمعات الإسلامية في تلك المدة ، وتبعاً لذلك فقد انتشر الشرك بالله والطواف بالقبور ودعاء أصحابها ، والاستغاثة بهم ، والتبرك بالأحجار والأشجار ، وسيطرت البدع والخرافات على عقول كثير من الناس، و هذا الوضع لم يرض كثيرا من العلماء ، فقامت حركات إصلاحية في بعض البلاد الإسلامية لمحاربة الأفكار المنحرفة والهدامة[41].

وفي أرض الحجاز - مكة المكرمة والمدينة المنورة على وجه الخصوص - تدفقت أجناس شتى من الشعوب الإسلامية في القرن الحادي عشر الهجري ،للإقامة فيها ، والسكون بجوارها.

واللغة العربية كانت لغة التخاطب، فصيحة لدى المثقفين، عامية في سواد المجتمع ، تقترب من الفصحى في البادية ، وتبتعد عنها في الحاضرة ، وأساليب الكتابة والتأليف غلبت عليها الصناعة البديعة ، وخاصة السجع ، والدولة العثمانية كانت تهتم باللغة العربية، حتى أنه كان من المفترض على كل من يتولى الحكم في الدولة أن يكون خبيرا باللغة العربية إلى جانب اللغة التركية والفارسية[42].

المبحث الثالث : تأثر علم التفسير ونشاطه بالحالة التأريخية :

سبق أن بينا أبرز الأحداث التي حدثت في العالم الإسلامي - على الساحة السياسية والعلمية والاجتماعية خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري ، ومن خلالها نلمس تأثيرها على حركة التفسير ونشاطه بكل وضوح ، ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أ- نشطت حركة التفسير عند بعض الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في هذه المدة، خاصة عند الشيعة الرافضة، وهذا شيء ملموس ظاهر بأننا نجد كثرة التفاسير الشيعية في هذه المدة من الزمن بصورة لم يُسبق لها مثيل، وبلغ عدد تفاسيرهم قرابة خمسين تفسيرا [43]، ولا شك أن هذا الإزدهار للتفسير عند الشيعة مرتبط بالأحداث والتحولات السياسية التي شهدتها المناطق والبلدان التابعة للدولة العثمانية ، وقيام دولة شيعية صفوية في بلاد فارس.

([37]) انظر : عودة الصفويين لعبد العزيز بن محمود الشافعي(39-44).
(38) تاريخ الإسلام لأنور الجندي (290/2).
(39) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها(724/2).
)- انظر : مشروع طبقات المفسرين – النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري – (ص : 491).(40
(41) انظر: تاريخ الإسلام(250/2-251).
(42) انظر: الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ،د.عائض الردادي (86/1 و 91).
- انظر : مشروع طبقات المفسرين – النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري – (ص : 491).43

- لما قامت الدولة الصفوية الشيعية في إيران بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي ، أعلن فرض المذهب الشيعي الرافضي مذهبا رسميا للدولة ، وبذلت الدولة الصفوية كل ما في وسعها لدعم هذا المذهب و نشره في جميع المناطق الخاضعة لسيطرتها بقوة الحديد والنار[44]، وقد كان الشاه عباس الكبير الذي تولى الحكم سنة (996ه) حتى سنة(1038ه) من أشد ملوك السلسلة الصفوية تعصبا للمذهب الشيعي، وأكثرهم عداء وبطشا بأهل السنة، وقد شهدت فترة حكمه أشبع المظالم و أسوأ الجرائم في حق أهل السنة و مذهبهم[45]، ولم يستهدف من وراء ذلك كله إلا القضاء على أهل السنة، ونشر العقيدة الشيعية في البلاد ، لذلك استدعى جمعا من علماء الشيعة لنشر هذا الهدف من بلاد أخرى، مثل: البحرين والأحساء ، وجبل عامل ومناطق أخرى، وكان له أثر سلبي واضح على العلم والأدب والفن عموما، ونشاط علم التفسير لدى علماء السنة ومفسريها في بلاد فارس خصوصا، و أصبح النشاط العلمي في مجال التفسير علي يد الشيعة الرافضة، وقد استعان المفسرون الراوفض بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفق المبادئ والأصول التي يقوم عليها مذهب الشيعة الإمامية على اثبات عقائدهم وآرائهم ، وهذا يُعتبر من أهم المجالات التي استغلها المفسرون الشيعة في ظل الدعم والتشجيع الدائم من الدولة الصفوية ، وهذا الذي يفسر أسباب الكثرة والازدهار الذي شهده التفسير الشيعي في هذه المدة [46]، وقد بلغ عدد التفاسير التي ألفها المفسرون من الشيعة في هذه المدة (النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري) (54) تفسيرا ، و هذا النشاط الذي شهده التفسير الشيعي ،لم يُسبق نظيره في أي قرن من القرون العشرة الأولى من الهجرة (47).

ب- شهد النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري حضورا واسعا من المفسرين يقارب مائتي مفسر في مختلف أرجاء المعمورة، لكن التفسير في هذه المدة شهد ركودا ملحوظا ، وذلك أن مؤلفات التفسير في هذه المدة اقتصرت على الشروح و الحواشي أو التعليقات أو الاختصار أو تفسير آية أو سورة من القرآن الكريم ، ولا نجد من التفاسير الكاملة للقرآن الكريم إلا النزر اليسر(48) وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل آنفا في الحالة العلمية - ولعل أبرز الأسباب في هذا الأمر هو أن الدولة العثمانية التي كانت مسيطرة على أكبر رقعة بلاد الإسلام ،وكانت تشهد أحداثاً و ثورات داخلية، وتدخلات في أمورها من قبل المغرضين من الإنكشارية و غيرهم ، وتعديات على أراضيها و شعبها من قبل أعدائها النصارى من جهة، و الشيعة الرافضة الصفوية من جهة أخرى، فكل ذلك مما أشغلت الدولة عن الاهتمام بشؤون العلماء و تيسير أمورهم، وعن مساعدتهم وتمويلهم حتى يكونوا متفرغين لأمور العلم و المعرفة ، وتصنيف الكتب و المؤلفات في العلوم عامة وفي علم التفسير خاصة.

ومن ناحية أخرى : أشغلت الأمور السائدة في أرجاء العالم الإسلامي العلماء والمفسرين، فقاموا بأمور الجهاد و الدفاع عن الدين و مقاتلة الأعداء - خاصة في بلاد فارس، مما جعلهم منشغلين عن التأليف والتصنيف.

ج- وقد برز في هذه الفترة (النصف الأول من القرن الحادي عشر) واشتهر في مجال التفسير و أساء سمعة المفسرين: التلاعبٌ بتفسير الآيات القرآنية، وإحياء العصبية المقيتة، وتشويه صورة الإسلام عموما والمفسرين خصوصا على أيدي المدرسة العقلية، والبعد عن الموضوعية والمثالية في النقد والتحليل.

د- و مما يُلمس في هذه المدة أيضا : النشاط في حركة التفسير لدى السادة الصوفية و كثرة تآليفهم في التفسير، وقد بلغ عددها (52) تفسيرا، و أكثر المفسيرين الذين ألفوا التفاسير على المنهج الصوفي كانت لهم صلة و علاقات خاصة بإدارة الدولة العثمانية في مختلف الأماكن والبلدان التي كات خاضعة لسيطرة العثمانيين.

هـ- اهتم المفسرون في هذه الفترة بتأليف التفاسير عن الآيات القرآنية الخاصة، و تفسير بعض السور، والتحشي على التفاسير المشهورة ، وحسب الموضوعات القرآنية المختلفة، ولهذا نجد أن عدد التفاسير المتعلقة بالآيات القرآنية الخاصة بلغ ستة وثمانين تفسيرا ، وعدد التفاسير المتعلقة بالسور اثنان وستون تفسيرا ، وعدد الحواشي والتعليقات على تفسير البيضاوي واحدا وستين، وعلى تفسير الزمخشري عشرة حواشي والتعليقات ، وعلى تفسير أبي السعود ثلاثة عشر، وعلى تفسير الجلالين ستة، وهناك مائة وإحدى عشر مؤلفا في موضوعات قرآنية متفرقة(49).

و- نتيجة لانفلات الأوضاع السياسية، وكثرة الحروب والفتن في بلدان المسلين ضاع قسم كبير من التراث الإسلامية في مجال التفسير، وقد بلغ عدد التفاسير التي ألفت في هذه الفترة ثم فقدت مائة واثنان تفسيرا، وهذه الأسباب كانت لها دور في قلة التأليف للتفاسير الكاملة للقرآن الكريم، حيث لم يبلغ عددها أكثر من عشرين تفسيرا (50).

أهم النتائج :

1- كثرة الحروب في بلدان المسلمين والانفلات الأمني فيها كانت لها أثر سلبي على حركة علم التفسير ونشاطه خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري.

2- استغلال الوضع السياسي في بلدان المسلمين من قبل الشيعة الرافضة بترويج معتقداتهم الباطلة، خاصة من خلال كتب التفاسير التي ألفوها في هذه الفترة.

(44) انظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها لفضل الهادي وزين (ص: 105).
([45]) انظر: المصدر السابق (ص: 105-106) .أحال المؤلف إلى عدة كتب فارسية في التاريخ.
(46) انظر: المصدر السابق (106-1010) بتصرف ، وقد اقتبس المؤلف بعض هذه المعلومات من مصادر فارسية ، وترجمها.
(47) انظر : مشروع طبقات المفسرين – القرن الحادي عشر (ص: 492)- مشروع علمي لنيل درجة ماجستير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلاميه بالمدينة المنورة شارك في إنجاز المشروع عدد من طلاب الدراسات العلياء.
) انظر: مشروع طبقات المفسرين –القرن الحادي عشر-(ص: 492).(48
) - المصدر السابق. (49
) المصدر السابق .(50

3- انشغال العلماء والمفسرين من أهل السنة بأمور الجهاد، وتحسين الأوضاع السياسية للأمة الإسلامية، وتوليهم المناصب، وتهجيرهم من قبل الدولة الصفوية خاصة ؛ كل هذه الأمور تسببت في ضعف الحركة العلمية في بلدان المسلمين عموما، ونشاط علم التفسير على وجه الخصوص.

4- لم يؤلف في هذه الفترة من التفاسير الكاملة للقرآن الكريم إلا عشرون تفسيرا، وأكثرها تتعلق بالمفسرين من الشيعة الرافضة.

6- فقدت المكتبة الإسلامية جزءا كبيرا من تراثها في مجال التفسير حيث بلغ عدد مؤلفات التفسير المفقودة في هذه الفترة أكثر من مأئة تفسير.

التوصيات :

أ- الحاجة الماسة إلى بذل الجهود في تحقيق التفاسير المخطوطة وإخراجها للأمة، وهناك (234) مؤلفا في التفسير تتعلق بهذه الفترة ومازالت في عداد المخطوط (51).

ب- أهمية دراسة اتجاهات التفسير و مناهج المفسرين في هذه المدة ، حيث إن مؤلفات التفسير كثيرة، و تحتاج إلى مزيد عناية من المهتمين بهذا العلم.

ج- العناية بتحقيق الكتب المطبوعة المشهورة المفيدة التي شابهها شيء من الخلل العقدي خاصة.

د- اعتنى العلماء ببعض التفاسير في هذه المدة بالتحشي عليها، فيمكن أن يُفرد كل تفسير منها بدراسة مقارنة بجمع الحواشي التي كتبت عليه.

هـ- اعتنت الفرق المخالفة لأهل السنة في هذه الفترة بنشر عقيدتها و مبادئها من خلال التفسير، وهنا ينبغي للمهتمين بهذا العلم القيام بتحقيق تلك الكتب وبيان ما فيها من أخطاء، و تصويبها في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية و أقوال السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

1. مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن ، الناشر: مكتبة المعارف طبعة الثالثة 1421هـ-2000م.
2. دكتور إبراهيم العدوي، نهر التاريخ الإسلامي- منابعه العليا وفروعه العظمى- ، الناشر : دار الفكر العربي – القاهرة.
3. جورجي زيدان ، مصر العثمانية ، تحقيق : محمد حرب ، الناشر: دار الهلال.
4. المكتب الإسلامي، عوامل انهيار الدولة العثمانية ، ، طبع في دمشق.
5. دكتور علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية و علاقاتها الخارجية ، المكتب الإسلامي طبعة الثالثة (1415هـ-1994م).
6. التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير- مرقم آليا في الشاملة .
7. دكتورعلي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، الناشر: مؤسسة أم القرى ، (1426-2005).
8. دكتورإسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، ، مكتبة العبيكان ، الطبعة لأولى: (1414-1994).
9. محمد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا) ، المحامي ، (المتوفى: 1338هـ) ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق: إحسان حقي ، الناشر: دار النفائس، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، 1401 – 1981م.
10. أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لتحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
11. عبد العزيز بن صالح المحمود الشافعي، عودَةُ الصَّفويّين ، الناشر: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع -مصر- الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م.
12. الموسوعة الحرة ويكيبيديا
13. عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: 1111هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
14. أنور الجندي، تاريخ الإسلام ، طبعة دار الأنصار.
15. د.عائض الردادي ، الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ، الناشر مكتبة المدني ، ط/ الأولى1404-1984م.
16. فضل الهادي وزين محمد عمر، التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، كلية أصول الدين ، قسم القرآن وعلومه، عام: (1420هـ).
17. مشروع طبقات المفسرين مشروع علمي لنيل درجة ماجستير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلاميه بالمدينة المنورة شارك في إنجاز المشروع عدد من طلاب الدراسات العلياء، وما زال متفرقا، ولم يُطبع بشكل مستقل حتى الآن.

) انظر: مشروع طبقات المفسرين –القرن الحادي عشر-(ص: 493).(51